موسيقى

غادة شبير تغني سيد درويش

الشعبي الأصيل

التقت نخبة من ذواقة فن سيد درويش، مساء اول من امس الاحد، صوت غادة شبير الذي ملأ قاعة قصر الاونيسكو دفئاً، وحنيناً الى ماض موسيقي جميل ومع بضع اغنيات لشيخ الملحنين، وعلم من اعلام الموسيقى والغناء في العالم العربي، الشيخ سيد .

في المستهل قدم السهرة الشاعر زاهي وهبي، في كلمة مستفيضة حول تاريخ هذا الموسيقي الذي توفي في العام ١٩٢٣ م والزخم الذي اعطاه للفن في فترة قصيرة جداً (ولد عام ١٨٩٢ م). وأيضاً نبذة عن المطربة غادة شبير، استاذة الموسيقى في المعهد الموسيقي.

الفرقة الموسيقية، وتحت قيادة رصينة لعازف الكمان ريشار السلفيتي، بلغت غاية في الرقي والاحتراف في العزف فافتتحت الامسية بمعزوفة من مؤلفات الموسيقار الراحل محمد عبد الوهاب، كامتداد لفن الشيخ سيد - باعترافه -.

«سيد الطرب»، «لفها الغيب»، «والهوى ثالثنا»، اغنيات ثلاث للشاعر الكويتي عبد العزيز سعود البابطين، قام بتلحينها اللبناني جورج عبده، في توليفات كلاسيكية، كما هي روحية القصائد «المقفاة». فالاولى وصف فيها الشاعر البابطين «سيد الفن والطرب» سيد درويش، وترجمها عبده نوتات موسيقية «سلسة»، واللافت انه اتبع في القصيدتين الاخريين اسلوب «الموال» في البيت ما قبل الاخير كما سبق وفعل عديد من الملحنين العرب.

الملحن وجدي شيا اختار ثلاث قصائد للبابطين، «سئمت اغترابي»، «لي حبيب» التي الغيت من البرنامج، و«يا شمعة النور»، فتميزت تنويعات ونغمات فسيفسائية ومقامية مليئة بالشجن والتحولات من نغمة الى اخرى، فجسدت افكاراً لحنية غزيرة لدى الملحن، والمثل على ذلك لحن البيت: «وطال اشتياقي الى من احب.. ملاذي من كل هذا الضجر»، من قصيدة «سئمت اغترابي»، فالوقفة في الشطر الاول منه اضفت جمالية وخصوصية على اللحن بشكل عام، ولحن «يا شمعة النور»، اتخذ كلازمة لإنهاء الحفل، اذ كان اقرب الى الحان الادعية الدينية الرمضانية بايقاعه وجملته في تناسق تام مع الكلمة «يا شمعة النور زيدي، هذا الوجود سناء».

● غادة شبير في قصر الاونيسكو (احمد عزاقير)

من اجمل موشحات سيد درويش، ادت غادة شبير ببراعة لافتة «مُنيتي عز اصطباري»، من مقام «نهاوند». لكن في دور «انا هويت»، لمع صوت شبير وأظهر موهبة لافتة جداً، فلم تجرؤ مطربة على غنائه بهذا الاداء البارع بعد غناء المطربة الكبيرة سعاد محمد له منذ سنوات طويلة، وها هي شبير على الهدى نفسه تسير فتعلن بصراحة ووضوح مدى تمكنها من المقامات والقفلات والتحكم في النفس الطويل التي تحتاجها جمل سيد درويش في هذا اللحن. وعرب «مدروسة»، وغير «فالتة» كما هي لدى كثير من الاصوات الشرقية الجميلة، وقد سمعنا في اثناء الحفل انتقادات من احد المتزمتين للاصوات والاداء الطربي القديم، وفي مقارنة ظالمة لصوت شبير مع الاصوات القديمة، فعصر شبير يختلف كلياً عن ذلك العصر، والغناء الحديث يعتمد اليوم تهذيب الاصوات وتعليمها الاداء على النوتة المدروسة، فاصبح الاداء الفطري نادراً اليوم، في ظل هذا التطور التكنولوجي والآلاتي، اذ اصبحت النوتة من ضرورات العزف لتجتمع الالات معا على لحن مكتوب لكل الة منها بشكل خاص، مع معرفتنا بأن «الفطرية» الموسيقية لدى بعضهم اهم بكثير من الدراسة الموسيقية لآخرين.

وقد شاء القيمون على الاحتفال استضافة وليد البحر درويش حفيد سيد درويش، فغنى في منتصف الحفل وبرفقة عوده فقط موال «حبيب زاد صدوده» اتبعه الطقطوقة الشهيرة «ياناس انا مت في حبي»، ثم بطرافة بالغة غنى من اعمال الراحل للحموات اغنية «اوعك تصدقي» او يا ام حسيني ياقرة عيني، me Give بوستيني...» الى آخر الاغنية، ومن الالحان النادرة التداول، «آمنت بالله» الفها الموسيقار الراحل حول عمدة قصد نادياً ليلياً، يصور فيها حالة العمدة اثناء السهر في النادي بتفاصيله سواء من قبلات او رشفات او غيرها، ونال وليد البحر بعض الاستحسان وليس كله، اذ ان غادة شبير نالت النصيب الاوفر من اعجاب الجمهور بها وبأسلوبها الراقي في الاداء، مما حدا بالشاعر سليمان الجار الله، على ارتجال قصيدة عمودية قصيرة حول اجواء السهرة والشيخ سيد، وغادة ووصف صوتها، القاها الشاعر زاهي وهبي. فيما اكملت غادة تواصلها مع درويش في اغنيات «خفيف الروح»، «اهوده اللي صار» «الحلوة دي»، اغان شعبية طالما سمعناها من مطربين وطالما غنيناها ورددناها في مناسبات عديدة سواء شعبية او وطنية، وهي اليوم مع شبير وفرقتها الموسيقية اكتسبت جمهوراً نخبوياً رفيعاً، فهي الحان تصلح لكل المناسبات والاجيال، ولكل المستويات الاجتماعية طالما تمس صميم الانسان وعمقه، اي انسان.

سحر طه